عنوان	**في جواب ملّا رجب على اصفهانى** **(معنى حديث المفضّل)** رسالة في جواب " من معنى حديث المفضَّل . . . "
صاحب اثر	**حضرت نقطه اولى**
مأخذ اين نسخه	مجموعه براون در كمبرج ف(21)(9) صفحه 120–126
ساير مآخذ	مجموعه خصوصى 4010 صفحه 120 مجموعه خصوصى 2019 صفحه 42
محل نزول	**ماكو** وإنّ بيان المفضّل لا ينزل من ساحة قرب الفؤاد لما أنا في أرض السّجن في وسط الجبال . . .
سال نزول	**ما بين رجب 1263هـ – 6 جمادي الاول 1264هـ (7 – 9 أشهر)**
مخاطب	**ملا رجب على اصفهانى**

بسم الله الرحمن الرحيم

[خطبة]

الحمد لله الّذي يتفضّل على من يشاء تذكرة ويشكره على جزاء ثنائه بما وعد في كتابه فله الحمد حمدا يشهد له بما شهد به نفسه بأنّه لا إله إلّا هو حمدا يصعد إليه بأعلى رتبة الثّناء ويعلو على كلّ ثناء بعلوّ نفسه على كلّ أهل الإنشاء حمدا تتنزّل به نفحات قدسه على جواهر الأفئدة من الممكنات ويعرج به ألطف الثّناء من كلّ الموجودات حمدا يستحقّه ويحبّه ويرضى عمّن يحمده به وكان سببا للصعود إلى ساحه قربه ووسيلة للوصول إلى مقام رضائه وذريعة إلى الورود على بساط قربه وبهائه حمدا يملأ السّماء جودا والجنّة نورا والأرض قسطا والنّار عدلا حمدا لا يعلم كيف هو ولا أين هو ولا حيث هو إلّا هو حمدا دلّ على أزليّته وحكى عن قدّوسيّته ونطق عن وحدانيّته وتعالى عن وصف ما سواه بقربه إلى مقام كبريائيّته حمدا يلهم الكلّ توحيده ويجذب النّفوس إلى مقام تفريده ويؤيّد القلوب بذكره وتقديسه ولقد ستر وعفى لمن تاب بفضله ووهابيّته حمدا لا يساويه حمد ولا يعادله حمد ولا يحيط بعلمه أحد ولا يستحقّ لأحد إلّا الله إنّه هو العزيز الحكيم[1]

والصّلوٰة على محمّد – صلّى الله عليه وآله – عبده الّذي اصطنعه لنفسه واختاره لمحبّته واصطفيٰه لولايته وارتضاه لطاعته وجعله مهيمنا على كلّ ما دقّ وجلّ بإحاطة رحمانيّته الّذي لا يقدر أحد أن يقول في حقّه هو هو إذ إنّه كما هو لا يعرفه إلّا هو ولا يشهد بمقامه إلّا هو ولا يعادله إلّا نفسه ولا يساوقه إلّا ذاته ولا يشابهه إلّا علمه فمن قال إنّ لأحد حظّ في عرفانه فقد افترى عليه واتّخذ لنفسه شبها لديه وخرّ من السّماء إلى قعر طمطام الظّلماء وليس له مفرّ إلّا أن يرجع إلى مولاه ويعترف بعجزه وتقصيره بين يديّ طلعته فإنّ حينئذ يحلّ له الثّواب

[1] **الركن الاول:** ركن التوحيد

ويخرج من فضل الله من سوء الحساب إلى ساحة قرب ملكوت الأسماء والصّفات إذ إنّ الله قد خلقه لنفسه متفرّدا عن الشّباهة من أبناء جنسه بظهور علوّ قدرته وكبريائيّته إنّه هو القويّ العظيم[2]

والسّلام على أوصياء رسول الله – صلّى الله عليه وآله – بما كان الله عليه من الفضل والنّفحات والعدل والظّهورات والبعث والتّجلّيات والوصف والشّئونات والذّكر الجليّ والثّناء العليّ في المقامات وما أحاط به علم الله في لجّة بحر الآيات وطمطام يمّ العلامات وما ينزل في الألواح ولا يجري به الأقلام من الدّلالات والعلامات إنّه هو المقتدر الوهّاب في البدايات والنّهايات[3]

والثّناء على الّذي شهد الله بالوحدانيّة في بحبوحة قدم ذاته قبل كون الأشياء وآمن بنبوّة محمّد – صلّى الله عليه وآله - جدّه بما قدّر الله له قبل ظهور أهل الإنشاء واعترف بولاية آبائه المعصومين أمناء الرّحمٰن بما شاء الله لهم في حين الّذي ما ذكر لهم ثناء ولا بهاء وقبل تجلّي ذاته لذاته بما لا يقترن الذّات في مقام الإبداع بالاختراع لعلوّ كينونيّته من دون كيف في الأمثال ولا مثل في الأشياء لظهور سرّ الله وعدله في ملكوت الأسماء والصّفات الصّابر في حكم الله والقائم بأمر الله والغالب بإذن الله والمنتظر لأيّام الله صلّ اللّهمّ عليه وعجّل في أيّامه فإنّ البلاد ومن عليها قد تغبّرت من سوء ظنّ الظّانّين والنّاظرين بغيره وسلّم اللّهمّ على الّذين استمسكوا بعروته واهتدوا بضياء حجّته من عبادك الّذين يقطعون بكلّهم إليه وجعلوا نعيمهم وجنّتهم قربهم لديه إنّك أنت الله الجواد الوهّاب ذو الفضل والإحسان والكرم والامتنان لا يتعاظمك شيء في السّمٰوات ولا في الأرض وإنّك أنت الله العليم الحكيم[4]

---

[2] **الركن الثاني:** ركن النبوة

[3] **الركن الثالث:** ركن الامامة

[4] **الركن الرابع:** الشيعة، القائم. "قال: أخبرني عن ثمانية أحرف نزلت فتبيّن في الأرض منها أربعة وبقي في الهواء منها أربعة على مَن نزلت تلك الأربعة الّتي في الهواء ومن يفسّرها قال: ذلك قائمنا فينزّله الله عليه فيفسّره وينزّل عليه ما لم ينزّل على الصّدّيقين والرّسل والمهتدين ثمّ قال الرّاهب: فأخبرني عن الإثنين من تلك الأربعة الأحرف الّتي في الأرض ما هي قال: أخبرك بالأربعة كلّها أمّا أوّلهن: فلا إلّه إلا الله وحده لا شريك له باقيًا،

[السائل]

وبعد، قد قرئتُ كتابك واطّلعت بثنائك ومن شكر فإنّما يشكر لنفسه وإنّ الله ليوفي لوعده حيث قال عزّ ذكره: "فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفروني"[5]

[السؤال]

وَإِنَّ مَا سَئَلتَ مِنْ مَعْنَى حَدِيْث المُفَضَّل[i]

[الجواب]

الله شاهد عليّ بأنّني أنا لم أقدر ببيان من حرفه كما هو عليه لأنّه يدلّ على مولاك القديم ونطق بفضله قرآن العظيم: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ البَحْر [مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا]﴾[6] ولكن لمّا جعل الله في كلّ شيء آيات كلّ شيء وجعل ما كان في قلمي وديعة في كلماتي أذكر لك بيان فقرة من آيات مولاك العظيم ما شاء الله ربّك وإنّ أصل الحديث بكلّه ليس الآن في محضري وإنّ بيان المفضّل لا ينزل من ساحة قرب الفؤاد لما أنا في أرض السّجن في وسط الجبال[7] ولكن اعلم أنّ حكم الحديث كعالم الإمكان عمق الأكبر[8] وأنّ له قطب يدور عليه وإنّه هو هذه الفقرة في الحديث: "ولا هي هو ولا هو غيرها" لأنّ الصّورة الأنزعيّة الّتي يصرّح باللّاهوتيّة وينطق عن مقام الجبروتيّة وهي هو سرّ الوجود والمهيمن على الغيب والشّهود وإنّه هو علانية المعبود على ما قال – عليه السّلام – في خطبته: "وإنّ اليوم مفقود عن أبصار

والثّانية: محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله مخلصًا، والثّالثة: نحن أهل البيت، والرّابعة: شيعتنا منّا ونحن من رسول الله صلّى الله عليه وآله ورسول الله من الله بسبب"، أُصول الكافي، المجلد1، الكُليني، كتاب أبواب التاريخ، باب مولد أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام، الحديث 5

[5] تفسير الميزان، المجلد 1، السيد الطباطبائي، الصفحة 339

[6] القرآن الكريم، سورة الكهف (18)، الآية 108

[7] جبال آذربيجان. [ماه كو أو جهريق؟]

[8] "وانزجر لها العمق الأكبر"، دعاء السمات (الشبور). "فهو أنّ عالم الإمكان العمق الأكبر"، رسالة الطبيب البهبهاني، كاظم الرشتي

أهل الشّهود"[9] لأنّ الذّات السّاذج البحت والعين الكافور الصّرف لا يشار إليه الإشارة ولا يدلّ عليه العبارة ولا سبيل لأحد إليه بل كلّ عبده ووحده بما وصف به نفسه وما كان له ظهور إلّا ذاته ولا بطون إلّا نفسه وإنّ سرّه كان عين علانيته وأوّليّته عين آخريّته وكينونيّته عين نفسانيّته ولا يحيط أحد بوصفه إذ الوصف لو كان ذاته لا يوجد غيره وإذا كان خلقه لا يدلّ على ذاته لم يزل كان ولم يكن معه شيء ولا يزال إنّه هو كائن ولم يكن في الحين معه شيء انقطعت الأسماء والصّفات عن ساحة قرب حضرته وامتنعت الأمثال عن مقام طلعته سدّ العلم به كان عدم وجود العلم به حيث قال في خطبة اليتيميّة حيث قال عزّ ذكره: "إذ قلت فيم هو ... الخ"[10]

[الجواب على سبيل الحكمة]

فإذا أيقنت على ما ألقيت إليك من إكسير أهل المعرفة فاعلم أنّ ضمير "هي" في قوله – روحي فداه – يرجع إلى صورته في مقام الإمامة وأنّ ضمير "هو" يرجع إلى مقام طلعة معانيه في قمص بيانه بشرط أن لا تلاحظ في المرآة حدّ المرآتيّة ولا ترى فيها إلّا طلعة الأزليّة الظّاهرة لها بها في رتبتها الّتي حكي عنها قوله – روحي فداه: "تجلّى لها بها وبها امتنع عنها فألقى في هويّته مثاله فأظهر عنها أفعاله" لأنّك إذا شاهدت في قمص الصّورة الأنزعيّة طلعة الهويّة فهو مقام الّذي قال الصّادق [عليه السّلام]: "أَنَّ لَنَا مَعَ اللهِ حَالَاتٌ نَحْنُ هُوَ وَهُوَ نَحْنُ"[11] وإذا تشاهد في الطّلعة الهويّة حضرت الأحديّة فهو مقام الّذي ذكره – روحي فداه – في الحديث

---

[9] المرجع: [؟]

[10] "إن قلت ممّ هو فقد باين الأشياء كلّها فهو هو وإن قلت هو هو فالهاء والواو من كلام صفة استدلال عليه لا صفة تكشف له وإن قلت له حدّ فالحدّ لغيره وإن قلت الهواء نسبة فالهواء من صنعه رجع من الوصف إلى الوصف وعمي القلب عن الفهم والفهم عن الإدراك والإدراك عن الإستنباط ودام الملك في الملك وانتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطّلب إلى شكله وهجم له الفحص إلى العجز والبيان على الفقد والجحد على اليأس والبلاغ على القطع والسّبيل مسدود والطّلب مردود دليله آياته ووجوده إثباته"، كتابخانه ملي جمهوري إسلامي، إيران، جلد 8، الخطبة اليتيمية للإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)

[11] "وعن الصادق – عليه السلام – أنه كان يصلي في بعض الأيام فخر مغشيا عليه في اثناء الصلوٰة فسئل بعدها عن سبب غشيته فقال ما زلت اردد هذه الآية حتى سمعتها من قائلها وفي رواية من المتكلم بها وروي عنه – عليه السلام – أنه قال: لنا حالات مع الله، هو فيها نحن، ونحن فيها هو، ومع ذلك،

الّذي قرئت عليك الآن "هُوَ هُوَ" وإذا تلاحظ في الصّورة الأنزعيّة نفس المرآتيّة فهو يدلّ على قوله – روحي فداه: "وَنَحْنُ نَحْنُ" وإنّ ذلك حدّ البيان في إظهار ما جعله الله في الكيان بالبروز إلى العيان فاحفظها كعينيك فإنّه أعزّ لديّ وعند الموحّدين من كبريت الأحمر ولا تؤتِ على ما جعل الله لنا إلى الّذين ما عرفوا مقام الصّفة وما بلغوا إلى قرار المعرفة فإنّ عليها [عليه السّلام] قال:

"لَا تُودِعِ السِّرَّ إِلَّا عِنْدَ ذِي كَرَمٍ وَالسِّرُّ عِنْدَ كِرَامِ النَّاسِ مَكْتُومُ
وَالسِّرُّ عِنْدِي فِي بَيْتٍ لَهُ غَلَقٌ قَدْ ضَاعَ مفتاحه والبيت مختوم"[12]

وإنّ ذلك الحكم أنت تعرفه بدليل الحكمة[13]

[الجواب على سبيل الموعظة]

وإذا أردت سبيل الموعظة[14] فاعلم إذا أشار العبد إلى مقام الّذي تصل إليه إشارته أقرب في مقام المعرفة وإلى مقام الّذي لا يدرك ولا يعرف ولا يذكر الإشارة لا ينفيها ولا شكّ أنّ المعقل لا يصل إلى مقام الدّرك وإنّ إشارة قوله – روحي فداه: "لا هو هو ولا هو غيرها" لو يدرك العقل في مقامه لظهوره تجلّي الهويّة في

هو هو، ونحن نحن"، كلمات مكنونة من علوم أهل الحكمة والمعرفة، الفيض الكاشاني، ناشر مؤسسة چاپ وانتشارات فراهاني، طهران بازار بين الحرمين، باب في الفناء والبقاء، الصفحة ١١٣–١١٤

[12] "ومن أشعاره (عليه السلام): لا تودع السر إلا عند ذي كرم * والسر عند كرام الناس مكتوم والسر عندي في بيت له غلق * قد ضاع مفتاحه والباب مختوم ويندرج فيه كتمان عيبه ومعاصيه والكرامات التي أودع الله تعالى فيه فان إفشاءها قد يوجب زوالها وكتمان دينه إذا توهم الضرر بإظهاره قال الصادق (عليه السلام) لسليمان بن خالد «يا سليمان إنكم على دين من كتمه أعزه الله ومن أذاعه أذله الله» أمره بكتمان دينه من غير أهله وممن لا يعرف حاله."، شرح أصول الكافي، المجلد 1، المازندراني، الصفحة 258

[13] قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾، القرآن الكريم، سورة النحل (16)، الآية 125

[14] قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ ... وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾، القرآن الكريم، سورة النحل (16)، الآية 125

الصّوره الأنزعيّة ليكون أقرب للعرفان وأسهل في البيان وإنّ ذلك حكم العيان إذا شهدت حكم القبل في الوجدان ونسبت حكم الاقتران في لجّة الافتراق

[البيان على سبيل المجادلة بالتي هي احسن]

وإذا أردت إثبات البيان بدليل المجادلة بالّتي هي أحسن[15] فاعلم أنّ الشّيء لا يدرك حدّ شيئيّته ولا يمكن أن يعرف من هو في صقع أثر الإبداع حكم من هو يعرف به وإنّك إذا أردت أن تعرف الجمرة حقيقتها لا سبيل لك إلّا بها وإذا تريد معرفتها بالصّخرة تحجب عنها فكذلك إنّ الصّورة الأنزعيّة لا يكون محل تجلّي الهويّة إلّا بنفس الهويّة في رتبته وإنّ ذلك في مقام الإمكان لا غيره لأنّ هذا الدّليل يلزم العبد بالإقرار بأنّ الهويّة في ضمير "هو" يدل على قبول تجلّي مقام الصّورة في ضمير "هي" وإلّا ممتنع حكم الوحدة بين الإثنينيّة وإثبات الضّميرين في الصّورة الأنزعيّة ولا يعرف حكم ذلك الدّليل إلّا أهل هذه السّلسلة العلّيّة فإنّ غيرهم لا يعرفون لحن كلماتنا ولا يدركون إشاراتنا وإنّ ذلك من فضل الله يختصّ برحمته من يشاء وإنّ ذلك لهو الفوز الكبير

وإنّ ذلك لهو الجواب الموجز تفرّع عليه أحكام المفصّل وأتّكل على الله فإنّ الله قال: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيءٍ قَدْرًا﴾[16] وَسُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى المُرْسَلِينَ وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

---

[15] قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ ... وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، القرآن الكريم، سورة النحل (16)، الآية 125

[16] القرآن الكريم، سورة الطلاق (65)، الآية 3

[ابجد هوز] أضيفت الى النص للتوضيح

[ابجد هوز] إضافة أو تعديل مقترح للنص

"ابجد هوز" لا تغير في النص، انما أضيفت الأقواس للتوضيح

"ابجد هوز" لا تغير في النص، انما أضيفت الأقواس كعلامة لتحديد الأحاديث الشريفة

﴿وَالعَصْر﴾ لا تغير في النص، انما أضيفت الأقواس كعلامة لتحديد الآيات القرآنية

- أضيفت الى النص للتوضيح
- أضيفت الى النص للتوضيح
- أضيفت الى النص للتوضيح
- أضيفت الى النص للتوضيح

لا وجود للفقرات في النسخة المعتمدة

المراجع

[i] "عن المفضّل بن عمر الجعفي قال: (قلت لمولانا الصادق (عليه السلام): الوعد منه كذا إلى مه – وقد خلوت به فوجدت منه فرصة أتمناها – أسألك يا مولاي عما جرى في خاطري من ظهور المعنى لخلقه بصورة مرئية، فهل الذات تتصوّر أو تتجزأ أو تتبعّض أو تحوّل عن كيانها، أو تتوهّم في العقول بحركة أو سكون؟ وكيف ظهور الغيب الممتزج بخلق ضعيف؟ وكيف يطيق المخلوق النظر إلى الخالق مع ضعف المخلوق؟.

فقال: يا مفضّل إنّ في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب، يا مفضّل علمنا صعبٌ مستصعبٌ، وسرّنا وعر بعيد على اللسان أن يترجم عنه إلا تلويحًا، وما يعرف شيعتنا إلا بحسب درايتهم لنا ومعرفتهم بنا، وسحقًا لمن يروي ما لا يدري ويعتقد ما لا يتصرّف في عقل ولا يتضح في لب، وذلك إيمان اللسان ووعر الحواس، والحجّة فيه على صاحبه وذلك أنّ القرآن نزل على إيّاك أعني واسمعي يا جارة، فاستمع لما يوحى إليك، وانظر بعين عقلك، وانصب بنور لبك، واسمع وع، فقد سألت عن بيان عظيم وحق يقين، وسألقي عليك منه سؤالاً ثقيلاً؛ وهو الذي ضلّ في معرفته أكثر الخلق إلّا من رحم ربّك إنّه هو الغفور الرحيم، وما أنبأ به الباقر (عليه السلام) لجابر من الوعر الأوعر الذي خفي عن سائر العالم إلّا عن صفوة المختصّين والبلغاء المستحفظين الذين أخلصوا واختصّوا وشهدوا الحق بما عملوا وصدّقوا بما عاينوا، كما ذكر في التنزيل قول السيّد ألا من شهد بالحق وهم يعلمون أنّه الحق والأمر يا مفضّل لطيف، وسرّ هذا العلم غامض. واعلم أنّ الذات تجلّ عن الأسماء والصفات، غيب ممتنع، لا يمتنع عنه باطن ولا يستر عنه خفي لطيف ولا شيء أعظم منه موصوف باتصافه له، مشهور بآياته معروف بظهوراته كان قبل القبل إذ لا قبل، وقبل أن يحيث الحيث بحيث لا حيث غيره، وقبل المكان إذ لا مكان إلا ما كوّنه وهو إلى ما لا نهاية له، لا يحول عن حال ولا عمّا كان منه من كيانه ولا يفتقر إلى شيء فيستعين به، ولا انتسب إلى غيره فيُعرف به بل هو حيث هو وحيث كان فلم يكن إلّا هو، يا مفضّل إنّ الظهور تمام البطون والبطون تمام الظهور والقدرة والقوة تمام الفعل، ومتى لم تكن كلّيّات الحكمة تامّة في بطونها تامّة في ظهورها كانت الحكمة ناقصة من الحكيم وإن كان قادرًا. قال المفضّل: قلت زدني يا مولاي شرحًا يحيا به من قرب وتقرّب من مشى بنورك وعرفك حقيقة المعرفة. فقال (عليه السلام): يا مفضّل إن ظهور الأزل بين خلقه عجيب لا يعلم ذلك إلّا عالم خبير، وإنّ الذات لا يقال لها نور لأنّها منيرة

كل نور فلمّا شاء من غير فكر ولا وهم إظهار المشيّة وخلق المشيّة للشيء وهما الميم والشين، فأشرق من ذاته نور شعشعاني لا تثبت له الأنوار غير بائن عنه، فأظهر النور الضياء لمن تبيّن منه، وأظهر الضياء ظلاً فأقام صورة الموجود بنفي الضياء والظلّ، وجعل النور باطنه، والذات منه مبدؤها، وكذلك الاسم غير متّحد بنوره، ما رأى خلقه بخلقه، فإذا بطن ففي ذاته وغيبه، والذي ليس شيء كهو إلا هو فتعالى الله العظيم. يا مفضّل وسألت عن المشيّة كيف أبدأها منشيها، فافهم ما أنا ذاكره لك يا مفضّل، فقد سألت عن أمر عظيم إن مولاك القديم الأزل تعالى ذكره يبدي مشيّته لم يزل لها عالمًا، وكانت تلك إرادة من غير همّة ولا حدوث فكرة، ولا انتقال من سكون إلى حركة ولا حركة إلى سكون؛ لأن القدرة طباعه وذلك أنّه يظهر المشيّة التي هي اسمه ودلّ بها إلى ذاته لا لحاجة منه إليه ولا غيب به فلمّا بدت بطبع الحكمة عند إرادته يكون الاسم والعلم بأن الحكمة إظهار ما في الكيان إلى العيان، ولو لم يظهر ما علمه من غامض علمه إلى وجود معاينة بعضها لبعض لكان ناقصًا، والحكمة غير تامّة لأنّ تمام القوة الفعل وتمام العلم المعلوم وتمام الكون المكون، فافتح يا مفضّل قلبك لكلام إمامك، واعلم أن النور لم يكن باطنًا في الذات فظهر منه، ولا ظاهرًا منه فبطن فيه، بل النور من الذات بلا تبعيض وغائب في غيبه بلا استتار ومشرق منه بلا انفصال كالشعاع من القرص، والنور من الشعاع لمولاك، يا مفضّل اخترع الاسم الأعظم والمشيّة التي أنشأت الأشياء ولم يكن للنور عند اختراعه الاسم زيادة ولا نقصان، والاسم من نور الذات بلا تبعيض، وظاهره بلا تجزي يدعو إلى مولاه ويشير إلى معناه، وذلك عند تغير كل ملّة لإثبات الحجّة وإظهار الدعوة ليثبت على المقر إقراره ويرد على الجاحد إنكاره، وإن غاب المولى عن أبصار خلقه فهم المحجوبون بالغيبة الممتحنون بالصورة. يا مفضّل الذي ظهر به الاسم ضياء نوره وظل ضيائه الذي تشخّص به الخلق لينظروه، ودلّهم على باريه ليعرفوه بالصورة التي هي صفة النفس والنفس صفة الذات والاسم مخترع من نفس نور الذات، ولذلك سمّي نفسًا ولأجل ذلك قوله: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾، وأنا أحذركم أن يجعل محمدًا مصنوعًا لكان الذات محدثًا مصنوعًا، وهذا هو الكفر الصراح. واعلم يا مفضّل أنّه ليس بين الأحد والواحد إلا كما بين الحركة والسكون، أو بين الكاف والنون لإتّصاله بنور الذات قائمة بذاتها، وهو قوله تعالى: ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنًا ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً﴾ يعني ما كان فيه من الذات، فالصورة الأنزعية هي الضياء والظل، وهي التي لا تتغيّر في قديم الدهور، ولا فيما يحدث من الأزمان فظاهره صورة الأنزعيّة وباطنه المعنوية وتلك الصورة هيولي الهيولات وفاعلة المفعولات وأسّ الحركات وعلّة كل علّة لا بعدها سرّ ولا يعلم ما هي إلا هو ويجب أن يعلم. يا مفضّل أنّ الصورة الأنزعيّة التي قالت ظاهري إمامة ووصيّة، وباطني غيب منيع لا يدرك ليست كلّيّة الباري ولا الباري سواها، وهي هو إثباتًا وإيجادًا وعيانًا ويقينًا لا هي هو كلا ولا جمعا ولا إحصاء ولا إحاطة.

قال المفضّل: قلت يا مولاي، زدني شرحا فقد علمت من فضلك ونعمك ما أقصر عن صفته.

قال: يا مفضّل سل عمّا أحببت.

قلت: يا مولاي تلك الصورة التي رأيت على المنابر تدعو من ذاتها إلى ذاتها بالمعنوية، وتصرح باللّاهوتية قلت لي إنّها ليست كلّيّة الباري ولا الباري غيرها، فكيف يعلم بحقيقة هذا القول؟

قال: يا مفضّل تلك بيوت النور، وقمص الظهور، وألسن العبارة، ومعدن الإشارة، حجبك بها عنه، ودلّك منها إليه، لا هي هو ولا هو غيرها، محتجب بالنور، ظاهر بالتجلّي كل يراه بحسب معرفته، وينال على مقدار طاعته، فمنهم من يراه قريبا، ومنهم من يراه بعيدًا، يا مفضّل إن الصورة نور منير، وقدرة قدير، ظهور مولاك رحمة لمن آمن به وأقر، وعذاب على من جحد وأنكر، ليس وراءه غاية ولا له نهاية.

قلت: يا مولاي فالواحد الذي هو محمد.

فقال: هو الواحد إذا سمي، ومحمد إذا وصف.

قلت: يا مولاي فعليّ منه باين كذا غير المعنى كذا وصف اسمه.

فقال: ألم تسمع إلى قوله: ظاهري إمامة ووصية وباطني غيب لا يدرك.

قلت: يا مولاي فما باطن الميم؟ فقال (عليه السلام): نور الذات، وهو أول الكون، ومبدء الخلق، ومكون لكل مخلوق، ومتصل بالنور، منفصل لمشاهدة الظهور، إن بعد فقريب وإن نأى فمجيب، وهو الواحد الذي أبداه الأحد من نوره، والأحد لا يدخل في عدد والواحد أصل الأعداد، وإليه عودها وهو المكنون.

قلت: يا مولاي يقول السيد الميم: أنا مدينة العلم وعليّ باطنها.

فقال: يا مفضّل إنّما عَنى تسلسل الذي سلسل من نوره، فمعنى قوله (عليه السلام): وعليّ بابها يعني أنه هو أعلى المراتب وباب الميم ومنه يدخلون إلى المدينة، وعلم العلم وهو المترجم بما يمده سيّده من علم الملكوت وجلال اللّاهوت.

فقلت: يا مولاي يقول السيد الميم: أنا وعليّ كهاتين، لا أدري يمينًا ولا شمالاً، وأقرن بين سبابيته.

فقال: يا مفضّل ليس يقدر أحد من أهل العلم يفصل بين الاسم والمعنى غير أن المعنى فوقه؛ لأنه من نور الذات اخترعه فليس بينه وبين النور فرق ولا فاصل، ولأجل ذلك قال: أنا وعليّ كهاتين – إشارة منه إلى العارفين – أن ليس هناك فصل ولو كان بينه وبينه فصل لكان شخصًا غيره هذا هو الكفر الصراح، أما سمعت قوله: ﴿أن يفرقوا بين الله ورسله﴾ وقوله: ﴿ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل﴾ وإيماؤها للعارفين أن يقال: إن الله بينه وبين بابه واسطة، ولأجل هذا قال: أنا وعليّ كهاتين لأنه بدء الأسماء وأوّل من تسمّى، فمن عرف الإشارة استغنى عن العبارة، ومن عرف مواقع الصفة بلغ قرار المعرفة، ألم تسمع إلى إشارة الاسم إلى مولاه تصريحًا بغير تلويح، حيث يقول: أنت كاشف الهم عني وأنت مفرج كربتي وأنت قاضي ديني وأنت منجز وعدي، ثم يكشف عن اسمه الظاهر بين خلقه فيقول: أنت عليّ، إشارة منه إلى مولاي، فكانت الإشارة إلى بابه: أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد المدينة فليقصد الباب"، هداية الكبرى، الشيخ حسين بن حمدان، الباب الرابع، الصفحة 434